

صفحات منسية من معاناة المرأة الجزائرية إبان الاحتلال الفرنسي

(دراسة سوسيوقافية)

الدكتور: معيوش براهيم

- جامعة سطيف 2 (محمد لمين دباغين) -

ملخص: أحدثت فرنسا في الجزائر طوال فترة الاحتلال تحولات عميقة مسّت كل نواحي الحياة ووضعت المجتمع على أعتاب مرحلة جديدة وذلك بالاعتماد على إستراتيجيات قاسية خرجت بها عن حدود النزعة الإجرامية لم تسلم منها حتى المرأة التي أفقدها معنى الحياة، بحكم أنها محورها وفاعلٌ أساسيٌّ فيها حيث أصبحت معزولة تعاني التخلّف المُطبق بشتى أشكاله، حالٌ دفعتنا إلى العودة للموضوع نستعرض فيه أحوالها المُتسّمة بالتردي والقسوة ونذكر بالكثير من صور معاناتها التي جعلتها بمرور الوقت تعيش تهميشا إجتماعيا مُطلقا كان السبب في تأخر ظهور النقاش الناضج لقضاياها والخطاب الواعي لرسالتها الحقيقية في المجتمع حتى بعد الاستقلال .

Résumé : La France coloniale a opéré des changements profonds touchant tous les aspects de la vie en Algérie en se basant sur des stratégies dures, voire criminelles. Elle a fait subir la société autochtone des atrocités. La femme, qui est considérée comme étant le pilier de cette société, n'en a pas été épargnée et on a fait d'elle un être marginal souffrant de tous les aspects de sous-développement. Ce constat nous a poussés à rebondir sur le statut de la femme algérienne pendant la colonisation en décrivant sa situation sociale caractérisée essentiellement par la dégradation et la dureté. Les séquelles de ce statut imposé (un être socialement marginalisé) a empêché l'émergence d'un débat constructif autour de ses revendications et ses aspirations au sein de la société même après l'indépendance.

الكلمات المفتاحية: المرأة الجزائرية، الاحتلال الفرنسي، معاناة المرأة.

مقدمة: بعد سقوط الجزائر تحت نير الاستعمار الفرنسي وضع مُنظّروه على إختلاف مهامهم للتطبيق العملي الكثير من إستراتيجيات السحق تقوم على القوة والإلزام والترهيب أحيانا وبالحيلة والمكيدة والترغيب أحيانا أخرى بغية إلحاقها بفرنسا وإستعباد أهلها ثم إستغلالهم بشكل مطلق لخدمة مصالحها، وبحكم أن المرأة محور الحياة وركيزة تُبنى عليها حياة الأسرة وسعادة المجتمع، عرّضوها إلى ممارسات وحشية أقل ما يقال عنها أنه مسخ لإنسانية بني الإنسان حيث حاولوا إخراجها من طبيعتها فطرتها ودفعها إلى طريق

مظلم لتدوس فيه على أقدم واجباتها وتُدمر وجودها الشخصي وكيانها النفسي والاجتماعي، وهو ما سنتطرق إليه في هذا المقال أين سنقف على حقيقة الممارسات الهمجية التي إقترفها الفرنسيون في حقها آنذاك، لكن رأينا من تمام الفائدة أن نُشير قبل ذلك إلى عُنصرين نذكر في أولهما مكانة و دور المرأة في المجتمع وفي ثانيهما حال المرأة الجزائرية قبل الاحتلال الفرنسي لتتضح لنا جليا التغييرات الجذرية التي مسّت واقعها في تلك الظروف الحالكة .

1-) مكانة و دور المرأة في المجتمع: المرأة رفيقة الرجل وقفت بجانبه منذ الصور الأولى للحياة البشرية وشاركته في كل مناسط الحياة وفي بناء المجتمع والحفاظ على تماسكه وسلامته الشيء الذي يضعها في مكانة على درجة كبيرة من الأهمية، ومن يتصور مجتمعا برجال دون نساء يُقمن بوظائفهن الإنسانية الطبيعية والاجتماعية إنساناً مجانباً للصواب حاله تكون كمثل من يتصور طائرا بجناح واحد وهو الشيء الذي يتناقض مع المنطق ولا يقبل به العقل، فالمرأة في كل المجتمعات إذا ما تعطلت وتأخرت فإن الرجل يتعطل أيضا ويتأخر بالإضافة إلى أنها لا تطرح قضاياها على الهامش إنها أحد قطبي الوجود الإنساني وقطبه الآخر الرجل ومن العبث أن نتصور انفصالهما ولو حدث هذا فالمجتمع يتلاشى، وبالرغم من مكانتها هذه وتحملها لكافة الأعباء الملقاة على عاتقها إلا أنها عانت الظلم والقهر في معظم الثقافات التي إعتبرت أن مهمات الحياة لا تقتضي دورها كما هو الحال في الصين مثلا فمع أنها عرفت الحضارة منذ آلاف السنين لكن حين يتعلق الأمر بالحديث عن المرأة فإنها تُهان و تُسلب حتى حق التصرف في نفسها حيث يحق للرجل الصيني أن يبيع زوجته كالجارية وكذلك في أن يدفنها حية¹، وقد بقيت المرأة تتعرض للإحتقار في مختلف الحضارات التي أنزلتها منزلة المتعة يستأثر بها الرجل للحياة والخدمة واللذة فقد كان الإغريق لا يقيمون لها أي وزن ويعتبرونها مخلوقا مُنحطا فاقدا للأهلية لذلك أنزلوها منزلة الحيوان تباع وتشتري في الأسواق كما السلع الأخرى فهذا (سقراط) أحد أكبر فلاسفتهم يقول فيها الأتي: "إن وجود المرأة هو أكبر مصدر للإنهيار في العالم، إنها تشبه شجرة مسمومة حيث يكون ظاهرها جميلاً ولكن عندما تأكل منها العصافير تموت حالاً"²، والحال نفسها مع الرومان الذين كانوا ينظرون إلى المرأة نظرة إستخفاف بإعتبارها مخلوقة للمتعة وهي دائماً خاضعة للرجل

¹ محمد إسماعيل المقدم ،عودة الحجاب، الرياض، دارطبية للنشر والتوزيع ،ط10، ج2،2006م، ص49.

² المرجع السابق، ص47.

أباً أو زوجاً وكان زوجها يملك مالها ويقيم عليها وصياً قبل موته³، ولم تسلم المرأة حتى من بعض العقائد والأديان التي عزلتها وجحدت إنسانيتها بل جردتها منها بشكل مطلق ففي الكتاب المقدس لليهود (التوراة) نجد أنَّ الكثير من النصوص الدينية تُدينها وتدعو إلى إذلالها على إعتبار أنَّ حواء هي سبب شقاء البشرية لأنها قدّمت التفاحة لأدم وأغرته بأكلها فعاقبها الله بآلام الولادة وفي هذا الشأن تتضمن إحدى الأسفار الآتي: "قال لها الرب سأضاعف ألامك وأحزانك مضاعفة كبيرة وستلدين الأطفال بالآلام وحدها وستكون حياتك خاضعة لمشيئة زوجك وسيظل زوجك حاكماً عليك"⁴، وفي الكتاب المقدس للمسيحيين (الإنجيل) أيضاً تتحمل المرأة وحدها مسئولية الخطيئة البشرية لذلك حرص القساوسة على أن يبتثروا في الأتباع فكرة أنَّ المرأة مصدر الشر في العالم يتوجب إشعارها بالخزي والعار من طبيعتها وكيانها البشري، لذلك لا عجب أن يعقد الفرنسيون بتخطيط وإيعاز من رجال الدين مؤتمراً عام 586م تباحثوا فيه ليجيبوا عن السؤال هل تعد المرأة إنساناً أم لا؟ فقروا أنها إنسان خلق لخدمة الرجل⁵، والحال أفضع في الديانات الوثنية مثل العرب زمن جاهليتهم حيث لم يكن أبغض للرجل من خبر يأتيه بمولد أنثى فيضطر إلى دفنها حية خشية العار والفقر، ومع كل أشكال صور المهانة التي تجرعتها المرأة خلال عصور غابرة من التاريخ تحملت بقائها خاضعة لسلطة الرجل وتابعة له في كل أدوار حياتها، ولم تنتهي عزيمتها في إستكمال أدوارها المتعددة المنوطة بها والمتعلقة أساساً في العناية بالنشء وتربيته وطبعه على الأخلاق المتعارف عليها في المجتمع، حتى شاع بين المهتمين بالشأن الإنساني من مفكرين وعلماء فكرة أنَّ تربية الولد يعني تربية فرد واحد أما تربية البنت فيعني تربية مجتمع برمته لذلك نجد أنَّ معظمهم يفسرون التأخر الحضاري للأمم وصعوبة إقامة حياة إجتماعية سليمة من الآفات بتخلي المرأة عن الوظائف الموكلة إليها وبجهلها بل يؤكدون أنه من المستحيل النهوض بالمجتمع وتبديل أحواله دون العناية بها من خلال تهذيبها وتربيتها سلوكياً وخلقياً، وهذا الأخير في الحقيقة مع أنه عملية تتطلب تعهداً مستمراً لكنه زرعٌ يجنى حصاده في أوقات لاحقة حين تُصبح الفتاة أو الشابة ربةً للبيت فتساهم بقسط وافر في تنشئة الأبناء تنشئة فاضلة وتحول بينهم وبين المفاصد، فهي لسنوات طويلة تكون عينا رقيقة عليهم وتخضعهم لقواعد النظام الأخلاقي الذي يُولد في الإنسان عبر مراحل حياته إحساساً يجعل من نفسه رقيقاً داخلياً، ومثل هذا الشيء هو الذي يجعل كل المجتمعات من دون إستثناء بحاجة ماسة للمرأة لتحقيق الرقي كونها

³ محمد الناصر وخولة درويش، المرأة بين الجاهلية والإسلام، السعودية، دار الرسالة للنشر والتوزيع، 1995م، ص2.

⁴ الصادق النهوم، الحديث عن المرأة والديانات، ليبيا، تالة للطباعة والنشر، 2002م، ص8.

⁵ مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، القاهرة، دار الوراق، ط4، 2010م، ص16.

تعمل في الهيئة الاجتماعية الذي هو تكوين أخلاق الأمة، تلك الأخلاق التي أثرها في الإجتماع من حيث إرتقاء الأمم وإنحطاطها يفوق آثار الأنظمة والقوانين والديانات⁶ فكل مجتمع يريد أن ينهض نهضة آكدة ترقّيه في مصاعد الحضارة الإنسانية مطلوب منه بالبحاح أن يُفكر في العناية بالمرأة باعطائها مكانتها التي تستحقها بتهذيبها وتربيتها لأنها أول من يقوم بها للأطفال في وقت هم فيه أوفر مرونة وأكثر قابلية لإنطباع ما يتلقونه من خير وشر، ولعلّه ليس من المغالاة القول أنها الدعامة الأولى في بناء مجتمع سليم بل إن قوة هذا الأخير تُستمد من درجة قيام المرأة بأدوارها على الوجه الأكمل كنتيجة حتمية لتربيتها وتهذيبها على طريقة سوية تجلب النفع لها وللمجتمع الذي تعيش فيه، ويكفي فقط للدلالة على صحة هذه الفكرة مراجعة تاريخ الأمم والمجتمعات المسيحية منها والمسلمة قديما وحديثا فبالنسبة للمجتمعات الأوروبية المسيحية كان من بين الأسباب التي جعلتها تعيش زمن الرداءة والاحتقان لردح طويل من الزمن هضم حقوق المرأة وتجريدها من إنسانيتها وكذلك قصور العقل آنذاك عن فهم دورها وجود مكانتها التي أقصيت منها فخفت فكرها وازداد تخلفها العقلي لدرجة جهلت فيه كل ما يدور حولها، والحال تنطبق على المرأة في المجتمعات المسلمة إذ أنه من بين أقوى الأسباب الكامنة وراء إنحدار خط الأمة الإسلامية في العصور الأخيرة العجز الشائن في فهم موقف الإسلام الصحيح من المرأة وإهمال تعليمها وتربيتها سلوكيا وأخلاقيا الشيء الذي أفقدها النباهة والوعي وكما هو معلوم إنحطاط التربية تابع لإنحطاط العقول و من بين أسباب إنحطاط العقول إهمال القضايا المتعلقة بالمرأة ، وكحوصلة لما تقدّم ذكره يمكن القول أنّ مكانة المرأة في المجتمع كالروح من الجسد إذا صلحت صلح المجتمع كله وإذا فسدت فسد كله ومن يقول بإمكانية تجاهل وجودها فإنّ لسان حاله كالقائل أنّ الإنسان يمكن أن يعيش برئة معطلة .

(2- حال المرأة الجزائرية قبل الاحتلال الفرنسي: مع ظهور أولى بوادر ضعف العالم الإسلامي بداية القرن السادس عشر ظهرت أطماع دول أوروبية كثيرة في إستعمار دوله المتزامية الأطراف ومن بينها الجزائر التي تعرضت لهجمات إستعمارية كثيرة متلاحقة كانت الحملة الإسبانية إحداها، وقد كادت أن تجعل الجزائر تحت حكمها فتم الإستتجاد بالأتراك حتى يساعدوا الجزائريين في صدّ هذا العدوان سنة 1516م وبالفعل دُحرت أساطيل الغزاة ووجد الأتراك بابا مفتوحا إلى الجزائر وأكثر من هذا كله نصّبهم الجزائريون أسيادا عليهم فحكموهم لما يزيد عن ثلاث قرون، وقد عني هؤلاء الأتراك بأمور السياسة وتوسيع الحدود الجغرافية لدولتهم أكثر من عنايتهم بالفكر والعلوم والثقافة والمرأة التي لم تكن القضايا

⁶ قاسم أمين ، المرأة الجديدة ، القاهرة ، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة ، 2012م، ص 64.

المتعلقة بها مطروحة بالشكل المتعارف عليه في الوقت الراهن، فالأترك صرفوا نظرهم عنها وفضلوا أن يبقوا الأمور على حالها قبل مجيئهم وقد كانوا على الدوام يُقَدِّمون الإهتمام بنفوذهم والصراع ضد القراصنة لإحكام السيطرة على البحر الأبيض المتوسط دون الالتفات إلى حاجات الجزائريين الاجتماعية، ولعل النزر اليسير من الخدمة التي قدّموها لهم تتمثل أساسا في رصد الأوقاف لعلماء الدين كسبا لمودتهم كونهم يحضّون بإحترام الجميع في الجزائر ففي بعض المراحل التي حكموا فيها البلاد أقدموا على تشييد المدارس وشجّعوا على ازدهار التعليم بتوسيع رقعته ومنح جوائز لبعض من أهل الفكر كما أنّهم أعانوا الكثير من العائلات العريقة التي إمتهنت التعليم وساعدتها ماديا على تسيير مؤسساتهم التعليمية والتربوية والدينية⁷، أما موضوع حال المرأة والقضايا المتعلقة بها حينذاك فمن يريد أن يبحث فيه سيقف على حقيقة قلة الدراسات والبحوث وحتى إن وجدت فإنّها لا تتعدى الحديث عن الحواضر والمدائن الكبرى لكن من الواجب الإقرار أنّ المراجع التي سقطت بين أيدينا وتصفحناها دلّت أنّ حالها بصورة مجملّة كان مقبولا بحكم أنّ الأترك كانوا يدينون بالإسلام الذي إهتم بالمرأة وأحاطها بالرعاية وشرع لها من الحقوق ما يلئم تكوينها وفطرتها، يكفي أنّها لم تكن منبوذة إجتماعيا مثما هو الأمر في المجتمعات الأخرى التي عزلتها بصورة مُطلقة فاستسلمت بعد ذلك إلى العوائد الراكدة والتقاليد الإجتماعية التي أقصتها من مكانتها كبعض من المجتمعات الأوروبية التي نجد في ثقافتها أنّ المرأة لا وظيفة لها سوى الإنجاب وكذلك مجتمعات القارة الهندية التي نجد في ثقافتها أنّ الزوج إذا مات يُحرق جثمانه وتُحرق معه زوجته وهي حيّة، بل وحتى في بعض من المجتمعات العربية التي تُنكّل بالمرأة شرّ تتكيل إذا ما أحبّت رجلا خارج إطار الزواج حيث يعمد أهلها إلى حرقها على مرأى من الناس، فالمرأة الجزائرية الحضرية أو الريفية على حد سواء من منطلق أنّها مالت إلى السكون وقبلت بالإكتفاء بتأدية واجبات البيت و كذلك بفضل تفانيها في خدمة العائلة والمجتمع جعل الرجل الجزائري حتى مع نزعة الذكورية وفضاظته يعترف بفضلها في حسن التدبير المنزلي وفي الأدوار التي تؤديها على أكمل وجه حتى لا يقع المجتمع في الآفات وحتى لا تتسبب في ضعفه وعجزه، ومع هذا تجدر الإشارة إلى بعض الجوانب المظلمة في هذه المرحلة والتي بقيت تسم الحال الاجتماعية للمرأة الجزائرية على غرار التعليم الذي كان من نصيب الذكور على حساب الإناث ولعل السبب في ذلك من جهة العرف الذي منع على المرأة من أن تتبوأ مكانة الفكر والإبداع في الجزائر حيث كانت المتعلّقات من النسوة في الغالب من بنات الأشراف والعلماء والمرابطين وشيوخ الزوايا

(7) أحميدة عميراي ، دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية ،(1827م - 1840م) ، قسنطينة، دار البعث ، ط1، 1987م، ص 63.

يتم تحفيظهن قصار السور من القرآن والمتون في اللغة العربية والفقه وفي سن لا تتجاوز على الأكثر خمسة عشر عاما، ومن جهة ثانية الأنظمة السياسية التي تعاقبت على حكم الجزائر وحرمت البنت من التعليم في كثير من المراحل التاريخية ففي هذا الصدد يقول أبو القاسم سعد الله : " لم تكن الإناث يذهبن إلى المدارس إلا نادرا ولكن أصحاب البيوتات الكبيرة كانوا يجلبون أستاذًا معروفاً بصلاحه وعلمه لتعليم البنات"⁸، وقد كانت درجة تعليمهن لا تتجاوز المستوى الابتدائي الذي يجعل من زادهن في العلم قليل وفي هذه الفترة بالذات ظهر في المدن الكبرى نوعٌ من المدارس سُميت دار المعلمة تقوم عليها نسوةٌ لا تُعَلَّم فيها الفتيات العلوم الأدبية والعقلية ولا يُحَفَظَنَّ فيها المتون ولا الفقه الديني وإنما التطريز والتشبيك وصناعة زخرفة الملابس ونسيج الزرابي والخياطة والفصالة والطبخ وترتيب البيت وشيئا من آداب السلوك⁹، وهي شبيهة إلى حد ما بما تُسميه اليوم بمراكز التكوين المهني الخاص بالإناث ومثل هذا الشيء هو الذي كان السبب الرئيس في قلة أسماء المبدعات فلا نجد عالمات أو أميرات أو شاعرات في الجزائر بالشكل الذي نجده في المشرق، ولم يبرزن في المجال العلمي والديني والفني وحتى إن وُجدن فإن خبرهن لم يصل إلينا وذكرهن في الكتب معدوم، وزيادة على الحرمان النسبي للمرأة الجزائرية من التعليم في هذه المرحلة هناك صورة أخرى من صور الإجحاف في حقها تتمثل في منعها من حقها الشرعي في الميراث الذي إستمر العمل به في بعض من المناطق إلى يومنا هذا على غرار منطقة القبائل مثلا، والأصل في القضية كما يشرحها الباحث في التاريخ (أرزقي فراد) في مقال له بعنوان (حرمان المرأة الجزائرية من الميراث منذ ثلاث قرون) أن هناك وثيقة تم بمقتضاها تحريم المرأة من حقها في الميراث تسمى وثيقة (بوليفة) حُررت سنة 1769م تُعتبر أكثر من فتوى إنبثقت من قصة واقعية لبجارة من الجيش العثماني تم حجزهم في الأندلس مدة تتراوح بين عشر سنين وعشرين سنة فتزوجت نسايم الجزائريات ولما عادوا من الأسر وقعت حربٌ أهليةٌ بسبب إستيلاء أزواجهم على الأراضي فلجأوا إلى تحرير هذه الفتوى التي تقرر فيها أن المرأة لن ترث حفاظا على وحدة الأسرة ولم يكن هؤلاء الذين حرروها علماء بل فئة من النبلاء وأعيان القرية الذين يُمثلون العرف ويُمثل الإمام الإسلام¹⁰، وقد تسربت بمرور الوقت بعد ذلك بعضٌ من التصرفات الجاهلية الراسخة أوقعت المرأة فريسة للهيمنة الذكورية وتم إستغلالها بموجبها شر إستغلال حين أُلقيت عليها أعباءٌ كثيرة وأشغال أخرى شاقة دون مراعاة لأنوثتها وطاقتها المحدودة وعانت

⁽⁸⁾ أبو القاسم سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال ، الجزائر ، ش و ن ت ، ط3، 1997م، ص154.

⁽⁹⁾ عبد الرحمان محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام ، الجزائر ، دار الثقافة ، ج3، 1982م ، ص523.

⁽¹⁰⁾ أرزقي فراد ، " حرمان المرأة الجزائرية من الميراث منذ ثلاث قرون " ، جريدة الشروق اليومي ، العدد 4612 ، 9جانفي 2015م ، ص11.

من التمييز حتى في المأكل والمشرب ، وأما في ما يخص المهن والحرف فقد كان نادرا جدا ما نجد المرأة الجزائرية آنذاك تمتهن الأعمال الحرة والتجارة خارج المنزل كون أن المجتمع محافظ والمرأة فيه ليست متحررة سافرة وإنما حبيسة بيت الزوجية تتمثل وظيفتها أساسا في القيام بالأعمال المنزلية وخدمة أفراد الأسرة وقلما تخرج منه في مناسبات تستوجب ذلك، ومثل هذه الحال تنطبق على المناطق الريفية كما المناطق الحضرية والمدن الشاهد ما ذكره أحد المستشرقين الفرنسيين مع نهاية القرن التاسع عشر 1788م ممثلا في شخص (فونتير دو باراديس) الذي قدم إلى الجزائر ليتعرف عن قرب على أحوالها وعلى طريقة عيش ونمط حياة الجزائريين حيث قال الأتي : " لا يمكننا أن نُحصي سكان مدينة الجزائر إحصاء دقيقا لأن النساء مُحجبات "¹¹ يُريد بذلك أنهن يحتجن في البيوت ولا يخرجن منها بشكل متكرر فإذا ما كان الحال هكذا في مدينة مثل الجزائر فما بالنا بالمرأة في الريف وفي المناطق المعزولة التي يقطنها معظم السكان بسبب ممارستهم لمهنة الفلاحة وإنشغالهم بالمجال الزراعي، وبمثل ما سبق ذكره آنفا إستطاعت المرأة الجزائرية أن تتمتع بحقوق لا تحظى بها حتى المرأة الأوروبية حينذاك وهو ما مكّنها من الإسهام بشكل بارز في التقليل من مظاهر الاضطراب التي تُخل بتوازن المجتمع وساعدها على صيانة أفرادها من الإنحراف والوقوع في حمأة الفساد الأخلاقي الذي يُعد أخطر أنواع الفساد لأنه يُهدّد كيان المجتمع ويُعرقل مسيرته النهضوية ويُكرّس لظاهرة التخلف في كل مظاهر الحياة الإنسانية .

3-) حال المرأة الجزائرية بعد الاحتلال الفرنسي: بعد الصدمة التي تعرّض لها الجزائريون ثلاثينيات القرن التاسع عشر والخضوع لإرادة فرنسا الاستعمارية التي كانت إلى زمن قريب أقل شأنا من الجزائر، شهدت هذه الأخيرة أوضاعا متردية للغاية شملت كل مظاهر الحياة من دون إستثناء إذ وبعد أن وُزعت الجيوش بعديتها وعتادها الحربي في المناطق القريبة من العاصمة ووسط البلاد لإحكام السيطرة والحيلولة دون إستجماع القوى ورص الصفوف لمجابهة الوجود الفرنسي بدأت صفحة أخرى من صفحات الاحتلال التي تلي الإستعمار والمتمثلة في الاستعباد والاستغلال حيث بعد سنوات قليلة فقط من تولية سدنة فرنسا شؤون البلاد إنقلبت الموازين وأصبحت مظاهر الشقاء للجزائريين تتضاعف بمرور الوقت وتزيد من إفئقارهم للإستقرار والحياة الكريمة جراء سياسات السحق والمحق التي مورست بأبشع صورها حتى يتسنى لفرنسا كيف ما شاءت إستغلال كل شيء وإلا ما معنى أن يُدلي وزير الداخلية الفرنسي بتصريح أمام مجلس الشيوخ يقول فيه التالي: " إن الكولون ليسوا فلاسفة يهاجرون لفعل الخير إنهم أناس

¹¹ عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، مرجع سبق ذكره ، ج3 ، ص 483.

يبحثون عن المال ولا أعتقد أننا نحن الفاتحون مطالبون بخدمة الأهالي فإن إستطعتم بمواقفكم الإبقاء على سمعتكم فإنهم سيرضون بكل ما تُعطونهم¹²، والحقيقة لا غرابة في مثل هذا الكلام لأن الاستعمار لم يخالف أبداً أصوله وعوائده في كل الأماكن وعبر الأزمنة وكان ديدنه على الدوام توجيه ضرباته لكل قوة في المجتمع من شأنها الإسهام بأي شكل من الأشكال في فك قيوده وأغلاله مثلما هو الحال بالنسبة للمرأة التي يمكن أن تُحسن أحوال المجتمع وتشارك في رُقيّه وإزدهاره كما سبق وأشرنا، الشيء الذي يفسر إتباع المنظرون الاستعماريون لإستراتيجية فظيعة خرجوا بها عن خط الوجود وخيرية الإنسانية تتضمن تجريد المرأة الجزائرية من كرامتها والرمي بها بعيدا لتعيش على هامش الوجود حيث أنه تزامنا مع السنوات الأولى للإحتلال عُوملت على أساس أنها في نفس درجة البهائم التي تباع وتُشتري في الأسواق لُتُستعمل في حمل الأثقال وكم هي كثيرة الوثائق التاريخية التي تُحيلنا إلى هذا الواقع المرير الذي عاشته آنذاك ولو رُحنا نصف تلك المعاناة التي شهد بها الفرنسيون أنفسهم لَأنتهي بنا المطاف بكتابة العشرات من الصفحات التي تُسود تاريخ فرنسا وتوصمه بالعار المخزي لكن رأينا ألا نتوسع في الموضوع ونكتفي بما شهد به أحد الضباط السامون (الكولونيل دي مونتانيك) الذي راسل رئيسا له في الجيش يُخبره عن النقتيل الذي مارسوه ضد النسوة وفي أحسن الأحوال كما يقول: "كنا نحتفظ ببعضهن كرهائن ونستبدل بعضهن بالحياد، ثم نبيع ما تبقي منهن بالمزاد العلني لإستعمالهن كحيوانات لنقل الأثقال"¹³، ولم يتوقف هؤلاء الهمجيين عند هذا الحد بل تجاوزوه بكثير إذ وبغية أن يستكملوا مسلسل جرائمهم في حق أفراد المجتمع الجزائري عامة والمرأة خاصة وضع خبراءهم الاستعماريون إستراتيجية جهنمية تم إتباعها خارج السجون تتمثل في الاستيلاء على المنشآت والمباني الواسعة وتحويلها إلى ملاهي لأجناده وماخورات عمومية ثم شيدوا في فترات لاحقة الكثير منها لغرض نشر الرذيلة والدعارة لتعاني المرأة من عملية التلويث وتحقر نفسها وتتأغم أيضا مع وضعها الاستعماري الجديد الذي تتعدم فيه بشكل مطلق الشفقة، وقد ذهب هؤلاء أبعد من هذا حيث إختاروا لها عمدا أماكن بداخل الأحياء الشعبية وقريبا من المساجد دون مراعاة أي إهتمام لمشاعر المسلمين، ومثل هذا الواقع الذي يُندر آنذاك بإستفحال الجوائح الإجتماعية في المجتمع ذكرته إحدى الجرائد الجزائرية المُعنونة ب(لسان الدين) فقد كتب فيها أحد أفراد طاقمها الغيورين واصفا هذه الظاهرة التي لم يكن لها وجود قبل الإحتلال بقوله الآتي: "أما الدعارة فقد نشرتها فرنسا كالوباء في كل حي دون مراعاة لحرمة الأوساط العائلية الشريفة ولا إحترام لقدسية الأماكن الطاهرة

¹² (العربي الزبيري ، المثقفون والثورة ، دمشق ، إتحاد الكتاب العرب ، ط2، ج1، 1999م ، ص 74.

¹³ (مينة بشي ، "مآثر المرأة الجزائرية خلال قرن من الإحتلال" ، مجلة المصادر ، الجزائر ، المركز الوطني للبحث في الحركة والوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، العدد 3، 2000م، 212.

حتى بات مسجد سيدي رمضان تُحيط به بيوت الداعرات إحاطة السوار بالمعصم¹⁴، وأعجب ما في الأمر أن الظاهرة أصبحت مقننة ومنظمة وتحت رقابة مستمرة من الإدارة التي تعاقب كل من يُحاول المساس بأمن تلك البغايا لذلك تُركن لحالهن خوفا من بطش السلطات ما جعل الظاهرة تتفشى بشكل رهيب أسقطت الكثير من النسوة الجزائريات في مهاوي الرذيلة وأبعدن عن معدن الأخلاق والفضيلة فقد ذكر أحد الأطباء الذين درسوا الظاهرة في الجزائر بعد الغزو وأكد أنها أصبحت بعد سبعين عاما منتشرة بشكل رهيب ففي الجزائر العاصمة لوحدها كانت درجة إنتشارها بنفس الدرجة في باريس¹⁵، وبطبيعة الحال مثل هذه الممارسات الوحشية ضد المرأة الجزائرية بل وأقطع بكثير إستمر العمل بها طوال فترة الاحتلال التي دامت ما يزيد عن قرن وربع الشاهد ما ذكره (Henri Pouillet) وهو أحد الجنود الفرنسيين الذين كانوا شهود عيان على التعذيب والاضطهاد الذي مورس ضد النسوة في المعتقلات سنوات فقط قبل الاستقلال حيث ذكر التالي: "لم يكن الجندي المحتل ينتظر كثيرا لاغتصاب الجزائريات من كثرة اللواتي يتعرّضن للتعذيب والاغتصاب"¹⁶، ويقول أيضا في نفس الشأن: "إذا كانت الجزائرية المعتقلة في سن ما بين السادسة عشر والثلاثين عاما فإنها تتعرّض للاغتصاب، وعادة ما يجلبن لهذا الأمر حيث يُؤخذن لغرف الجنود لقضاء ليلتهم هناك وتتعرّض الواحدة منهن إلى ثلاثين اغتصاب خلال يومين أو ثلاثة"¹⁷.

إستعانت فرنسا بنية الاستعمار كما يُسميها الشيخ البشيرالإبراهيمي لتأصيل وجودها بالبلاد كل أساليب المكر الظاهرة والباطنة وإستعملت لإستغلال الجزائريين أرفع النظريات العلمية لأحط غاياته وأهدافه، و لم يرسم خدامها على إختلاف مواقعهم حدودا للتنظير والعمل الجاد لتثويبه صورة المرأة المسلمة الجزائرية والإنتقاص من قيمتها وإستغلالها أيضا بشتى الأشكال، ولعل مثل هذا الأمر لا يدعو للعجب فمن السذاجة أن يضع الإنسان ثقته في فرنسا وأسيادها لأنهم يكذبون حتى على أنفسهم فحتى تلك الدعوات في بعض من المراحل التي تبدو أنها بريئة يدعو فيها أصحابها إلى تعليمها وإعطائها مكانتها اللائقة بها لم يكن إلا محاولات لسلخها من أصالتها ودينها والتحضير لصهرها وإدماجها في الثقافة الغربية، حيث أن مشروع تعليمها سنوات فقط بعد الاحتلال بعيد كل البعد عن البراءة بحكم أن الذين فكروا فيه أرادوا خدمة مصالح فرنسا والإنتصار الكامل للحملة الصليبية التي أصبحت تتلون بألوان جديدة ، فرجالات الكنيسة

¹⁴ أحمد مريوش ، الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية ، الجزائر ، دار هومة ، ط1، 2007م ، ص115.

¹⁵ E A Dushsne , **la prostitution dans la ville d'Alger depuis la conquête** , paris ,libertaire de l' académie impériale de médecine,1953, p 35 .

¹⁶ Henri Pouillet, **la villa Susini, Torture en Algérie, juin 1961- mars 1962**, EL Kalima édition, Alger, 2014, p135

¹⁷ ibid, p97

كانوا يرون أن المرأة ذات تأثير ملحوظ على المستوى الثقافي والمعرفي للمجتمعات وأيضاً على تبليغ عقيدة النصرانية فيها ومن الذين عنوا بالموضوع (لاميلي دوفيلار) وهي سليلة إحدى أقدم عائلات المُعمرين حيث شيدت مدرسة للبنات الجزائريات إستقطبت إليها 160 بعد سنة واحدة فقط الشيء الذي أدهش المفتش التربوي وطلب منها فتح مدرسة أخرى¹⁸، وكذلك (السيدة أليكسي) التي راسلت وزير الحربية الفرنسي وقد ضمت له طلباً جاء فيه التالي : " إنكم سيدي الوزير إذا خصصتم لحضارتنا مئة ألف من الفتيات الجزائريات اللاتي ينتمين إلى مختلف طبقات المجتمع سيصبحن في المستقبل زوجات بارعات و سنضمن لكم خُصوع البلد إلى الأبد و ذلك بالتأثير على أزواجهن"¹⁹ والذي ذكرناه يكفي للدلالة على أنه مشروع لم يكن من باب التفكير الجدي للإهتمام بالمرأة الجزائرية بل لتدعيم نفوذ الإستعمار وتأصيله وكذلك لسلخ المجتمع الجزائري عن دينه الإسلامي وإحلال مكانه المسيحية ، وما تجدر الإشارة إليه أنه في هذه الفترة حتى حال المرأة الفرنسية لم تكن مقبولة بحكم أن الإهتمام بها في عقر دارها لم يكن لائقاً فعلى سبيل المثال كانت بعيدة عن عملية التعليم والتثقيف حيث أن نسبة الأمية عند الإناث كانت مرتفعة فقد ذكرت المؤرخة (Yvonne Turin) أنه لم يكن في فرنسا تعليم ثانوي إلا بعد القرن العشرين زيادة على أن العائلات كانت تُبدي تحفظاً من إرسال بناتها إلى المدارس البعيدة الواقعة بالبلدة²⁰، فإذا ما كان القائمون على شؤون المجتمع الفرنسي لم يُفكروا في العناية بالمرأة ولم يولوا إهتماماً لائقاً بقضاياها عندهم كيف لهم أن يُفكروا في الإهتمام بها في المستعمرات كالجائر التي إتبعَت فيها سياسة مُحكمة لنشر الأمية على أوسع نطاق وضد كل فئات المجتمع من أولى أيام الاحتلال إلى آخرها وبالخصوص الفتيات اللاتي سيكن نساء المستقبل، لسان حالهم يقول أن لا مكانة لهن في المدارس ويجب أن يبقين مستعبدات لا هم لهن سوى حمل مشتريات الأوروبيين وقضاء حوائجهم ومسح أحذيتهم كما كان رائجا في تلك الفترة، وطبعاً لم يكن لهؤلاء أن يتجاهلوا مكانة المرأة في المجتمع وما يُمكن أن تُقدّمه لهم إذا ما إستثمروا فيها من الوجهة التي تخدم مصالحهم وهو ما دفعهم إلى وضع العديد من المخططات بغية تغيير شخصيتها بشكل كامل لترتقى في أحضان طريقة ونمط الحياة الفرنسية، وبالفعل نجحوا إلى حد ما خاصة في المدن الكبرى أين نشدت درجة إختلاط الجزائريين بالفرنسيين فعلى سبيل المثال لا الحصر أقامت السلطة تعليمياً موجهاً للنساء لا يتضمن تعليمهم القراءة والكتابة وإنما حرفة من

¹⁸ خديجة بقطاش ،، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر ، الجزائر ، مطبوعات دحلب ، 1992م، ص 48.

¹⁹ نفس المرجع ، ص 57.

²⁰ Yvonne Turin ، **affrontement culturelle dans l'Algérie coloniale**, Paris, François Maspero, 1971 ,p 172.

الحرف وقد شاركت فيه حتى الكنيسة يُسمى التعليم المهني يخدم الإقتصاد أكثر من شيء آخر حيث تظهر الفتاة على أنها آلة للإنتاج وكفى وهو تعليم لا يزيد الإنسان معرفة ولا يُفَتِّق له ذهنًا والكل يُمكن أن يُعلِّم مثل تلك الحرف و إن كانوا في أعلى درجات الجهل أو حتى عميانا وهو ما يسمح لنا بالقول أنه لا يخدم الجزائريين بقدر ما يخدم مصالح فرنسا الإقتصادية، كما أن الذين فكروا فيه أرادوا قلب الموازين في المجتمع الأهلي بتحرير المرأة فيه على شاكلة المرأة الأوروبية وهي الفكرة التي فسرها المؤرخ (الطاهر وعلى) بالقول: "لقد كان الهدف من هذا التعليم فضلا عن مزاياه الإقتصادية للمقاولة الإستعمارية هو تكوين زوجات قادرات على الإعتماد على أنفسهن إذا تنصرن ومن جهة أخرى التأثير على غيرهن من النساء"²¹، وقد بقي طوال الفترة الاستعمارية حال المرأة الجزائرية مترددا للغاية مع أن القائمين على شؤون الإدارة بمختلف مواقعهم كانت دعاويهم وصيحاتهم تصم الآذان بأنهم رسل الحضارة وحاملوا المدنية إلا أنه لا أحد من هؤلاء أعار أدنى إهتمام لها وهم كلهم ينطبق عليهم حكم (فرحات عباس) الذي قال: "من العبث أن تُميز بين الفرنسي الصالح والفرنسي الطالح فكلهم في ظلم الجزائري سواء وإن مسؤوليتهم لواحدة"²²، وما يدل على ذلك بوضوح أنهم لم يضعوا أي مادة قانونية تتعلق بقضاياها مع أنهم شرعوا الكثير من القوانين كما أنه لم تكن في الجزائر أي منظمة خاصة تهتم بمعالجة مشاكل المرأة وتدافع عن حقوقها المسلوبة وتعالج مشاكلها وتُنتهي معاناتها مع الاستغلال واللاإنسانية هذا من ناحية السلطة الاستعمارية الفرنسية ، أما من ناحية المجتمع الجزائري الذي يتحمل هو بدوره جانبا من المسؤولية فإن قلة إهتمامه بشؤون المرأة كان لتفشي بعض من العادات والأعراف التي همشت المرأة وأقصتها من كل عمليات التنقيف إذ أن تعليمها مثلا في كثير من المناطق آنذاك كان يُعد من الأمور الممنوعة إجتماعيا وحتى عقائديا من طرف أشباه علماء الدين الذين لا يفهمون منه إلا القشور أو يفهمونه بما يُخالف الفهم الصحيح وقد تَكَرَّست هذه العقلية المتحجرة في الآباء وتمنعوا عن إرسال بناتهم لحجج كثيرة مرفوضة وقد ذكر أحد المُنتصرين للمدرسة الباديسية وهو الأستاذ (علي مغربي) في شأن ما قارفه هؤلاء الآباء في حق بناتهم من تجهيل ما يأتي: "التقى ابن باديس مرة على مستوى نادي الترقى في العاصمة بأرباب الأسر ففاتحهم في موضوع تعليم بناتهم فما كان من أحد الحاضرين إلا أن أغضبه بقوله أن الآباء لا يثقون في من يُعلِّم بناتهم، وهنا إنتفض ابن باديس وقال بصوت عال: "إذا لم تكن الثقة فينا ففي من تكون"²³ ، بالإضافة إلى الذي ذكرناه هناك أيضا النزعة الذكورية التي يُعرف بها المجتمع الجزائري والتي

²¹ الطاهر وعلى ، التعليم التيشيري في الجزائر ، الجزائر ، منشورات دحلب، 1998م، ص 126-127.

²² فرحات عباس ، ليل الإستعمار، تر: أبو بكر رحال ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للنشر، 2005 م ، ص 130.

²³ علي مغربي ، " سر عظمة ابن باديس "، مجلة الرسالة ، الجزائر ، وزارة الشؤون الدينية ، العدد 1 و2، 1980م، ص 38.

جعلت الرجل صاحب المكانة الممتازة في الأسرة والمجتمع و حطّت هي بدورها من مكانة المرأة وجعلتها تابعة للرجل وفاقدة للحرية وللإرادة حالة تتطابق مع الوصف الذي قدّمه (قاسم أمين) حين ذكر القهر والعزلة التي تعيشها المرأة العربية المسلمة حيث قال ما يأتي: "إن المرأة عندنا في حاجة إلى الرجل فلا تسافر إلا تحت حمايته ولا تفكر إلا بعقله ولا تنتظر إلا بعينه ولا تريد إلا بإرادته وهي بذلك لا تعد إنسانا مستقلا بل هي شيء ملحق بالرجل"²⁴ " وفي نفس السياق قال أيضا الشيخ الإبراهيمي: "المرأة الجزائرية تنصرف فيها الاعتبارات المجردة من العقل فهي حينما متاع يُتخطف وتارة كرهٌ تتلقف تعتبر أداة للنسل أو مطية للشهوات"²⁵ وأكثر من الذي اشرنا إليه فقد كانت المرأة الجزائرية إذا ما أصيبت بمرض خطير بمقاييس تلك الفترة فإن نسبة شفائها من سقمها ضئيلة جدا إذ كن يُمنعن من رؤية الطبيب وكان الرجل الجزائري يُفضل موت زوجته أو أمه أو أخته عوض أن يكشف عنها طبيب فرنسي لإعتبارات كثيرة فمن جهة أنه رومي بالتعبير العامي آنذاك (كافر) ومن جهة أخرى أن ذلك يتنافى وشهامة الرجولة، الشيء الذي جعل النسوة يطلبن الاستشفاء عند العجائز ممن كن على معرفة قليلة بطب الأعشاب والشيء نفسه بالنسبة للتوليد فقد كانت هناك قابلات في كل قرية أو منطقة وحتى في المدن من دون تكوين يتولين توليد الأمهات في البيوت اعتمادا على طرق تقليدية ومثل هذا الأمر تم الاستمرار العمل به كما هو معلوم حتى سنوات بعد الإستقلال ومثل هذه الطرائق التقليدية هي التي تُفسر إزدياد معدل وفيات المواليد الجدد والأمهات وقد كتبت (Yvonne Turin) نقلا عن أحد الأطباء: "كنا نسمع بأن المرأة العربية الفلانية توفيت في وسط آلام الوضع دون أن تُعرض على طبيب"²⁶، وبحكم أن الحركة المرابطية وأدعاء التصوف كانت لهم اليد الطولى في توجيه العمليات الاجتماعية بالجزائر (عقائد، أفكار، أعمال، أخلاق) بما يحتلونه من مكانة مرموقة في نفوس أفراد المجتمع فقد كانت من بين الأسباب المباشرة التي أسهمت بدرجة كبيرة في جهلها وتخلفها العقلي وسذاجتها المطلقة حيث روج هؤلاء الدراويش لأعراف وعادات وممارسات فاسدة تجعل من المرأة تركز إلى التواكل وإلى القبول بالجهل حتى تُستغل بلاهتها وغفلتها ولعل أقل مظاهر هذا الإستغلال الذي يفوق أحيانا كل التصورات هي إستجداد المرأة التي أطبقت عليها نقيصة الأمية بهؤلاء الدراويش في كل صغيرة وكبيرة (خطوبة، زواج ، ولادة ، إستطباب، رقية ، تمانم ، ودعات .. إلخ) مقابل تقديم الهدايا والعطايا وقد ذكر لويس رين في كتابه الموسوم (مرابطون

²⁴ قاسم أمين ، المرأة الجديدة ، مرجع سبق ذكره ، ص 35.

²⁵ محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي ،، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1997م ، ج4، ص 360.

²⁶ Yvonne Turin , op.cit , p 377 .

وإخوان) أنه لا نكاد نجد آنذاك امرأة إلا وتُعلّق لنفسها ولأولادها تمائم وتودع لهم الودعات كما أنهن يُمارسن الكثير من الطقوس الغريبة التي لا يفقه المغزى منها إلا من يمارسها كالبخور وغيرها، وهناك بعضا من الطرق الصوفية التي يقبل شيوخها بإنضمام النساء إليهن سُمين خواتات يُشاركن الرجال في الاجتماعات والذكيات منهن يُصبحن مقدمات يُساعدن الشيخ في مهامه ويتولين الاجتماعات الدينية السنوية²⁷ التي لا يُنتظر منها إلا الإستزادة في تدني المستوى الثقافي وفي التخدير والتضليل وشلّ العقول عن التفكير لإضعاف الهمم والقبول بالحال كما هي، وجراء هذا الوضع الكارثي الذي كانت تعيشه المرأة الجزائرية المتمسمة بالتأخر والإنحطاط تضاعفت محنتها حتى أصبح حالها شبيهة بالمرأة الأوربية في القرون الوسطى فاقدة لكرامتها وحضوة مكانتها في البناء الاجتماعي العام، ومحجوبة أيضا عن كل ما يستجديه الوجود الإنساني من تطور في شتى مجالات الحياة.

خاتمة: ما من شك أن قدرة المرأة على القيام بالأدوار المنوطة بها تتوقف على نوعية نظرة المجتمع إليها والاعتراف بقيمتها و كذلك منحها حقوقها، وهو ما لم تكن عليه المرأة الجزائرية في المرحلة الكولونيالية الفرنسية المأزومة، حيث تعرّضت للتهميش والإقصاء من جهة المستعمر الفرنسي الذي أراد أن يستغلها و يُلبسها لباس العبودية وأيضاً من جهة المجتمع الجزائري الذي أفقدها حضوة مكانتها إستجابة لتقاليد راکدة متوارثة كبّلتها بسلاسل من حديد وجعلتها تعاني في صمت كل ألوان الظلم لا يُسمع لها حسّاً وممنوعة من أبسط حقوقها، وبالرغم من هذا كلّها قاومت التأثيرات السلبية التي تستهدفها ووصل بها الأمر حتى إلى حمل السلاح للوقوف في وجه الآلة الإستثمارية الفرنسية، كما حرصت تمام الحرص على ضرورة أداء أدوارها مستترفة في سبيل ذلك كل طاقاتها للعمل الجاد بغية الإسهام في تحسين أحوال أسرتها ومجتمعها على حدّ سواء.

الهوامش:

- (1) محمد إسماعيل المقدم، عودة الحجاب، الرياض، دارطبية للنشر والتوزيع، ط10، ج2، 2006م، ص49.
- (2) نفس المرجع ، ص47.
- (3) محمد الناصر ،حولة درويش، المرأة بين الجاهلية والإسلام،السعودية ،دار الرسالة للنشر والتوزيع، 1995م، ص2.
- (4) الصادق النهوم، الحديث عن المرأة والديانات ، ليبيا ، تالة للطباعة والنشر ،2002م، ص8.
- (5) مصطفى السباعي ، المرأة بين الفقه والقانون ،القاهرة ، دار الوراق، ط4، 2010م، ص 16.

²⁷) Louis Rinn, **Marabouts et khouans étude sur l'islam en Algérie**, Editeur Adolphe Jordanne, 1884, p89 , p89.

- (6) قاسم أمين ، المرأة الجديدة ، القاهرة ، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة ، 2012م ، ص 64.
- (7) أحمد عماري ، دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية ، (1827م - 1840م) ، قسنطينة ، دار البعث ، ط1، 1987م ، ص 63.
- (8) أبو القاسم سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال ، الجزائر ، ش و ن ت ، ط3، 1997م ، ص154.
- (9) عبد الرحمان محمد الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، الجزائر ، دار الثقافة ، ج3، 1982م ، ص523.
- (10) أرزقي فراد ، " حرمان المرأة الجزائرية من الميراث منذ ثلاث قرون " ، الشروق اليومي ، العدد 4612 ، 9 جانفي 2015م ، ص11.
- (11) عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، مرجع سبق ذكره ، ج3 ، ص 483.
- (12) العربي الزيري ، المثقفون والثورة ، دمشق ، إتحاد الكتاب العرب ، ط2، ج1، 1999م ، ص 74.
- (13) يمينة بشي ، " مآثر المرأة الجزائرية خلال قرن من الاحتلال " ، مجلة المصادر ، الجزائر ، المركز الوطني للبحث في الحركة والوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م ، العدد 3 ، 2000م ، ص212.
- (14) أحمد مريوش ، الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية ، الجزائر ، دار هومة ، ط1، 2007م ، ص 115.
- (15) E A Dushsne , **la prostitution dans la ville d'Alger depuis la conquête** , paris ,libertaire de l' académie impériale de médecine,1953 , p 35 .
- (16) Henri Pouillet, **la villa Susini, Torture en Algérie, juin 1961- mars 1962** ,EL Kalima édition, Alger, 2014, p135.
- (17) ibid, p97.
- (18) خديجة بقطاش ، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر ، الجزائر ، مطبوعات دحلب ، 1992م ، ص 48.
- (19) نفس المرجع ، ص 57.
- (20) Yvonne Turin, **affrontement culturelle dans l'Algérie coloniale**, Paris, François Maspero, 1971, p 172.
- (21) الطاهر وعلي ، التعليم التبشيري في الجزائر ، الجزائر ، منشورات دحلب ، 1998م ، ص127.
- (22) فرحات عباس ، ليل الإستعمار ، تر: أبو بكر رحال ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للنشر ، 2005م ، ص 130.
- (23) علي مغربي ، " سر عظمة ابن باديس " ، مجلة الرسالة ، الجزائر ، وزارة الشؤون الدينية ، العدد 1 و 2 ، 1980م ، ص38.
- (24) قاسم أمين ، المرأة الجديدة ، مرجع سبق ذكره ، ص 35.
- (25) محمد البشير الإبراهيمي ، آثار محمد البشير الإبراهيمي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1997م ، ج4، ص 360.
- (26) Yvonne Turin, op.cit.,377 .
- (27) Louis Rinn, **Marabouts et khouans étude sur l'islam en Algérie**, Editeur Adolphe Jordanne, 1884, p89.